

الرمز
في شعر الشاعر الليبي عبد الحميد بطاو

إعداد
رحاب محمد عيسى عبدالرحيم

إشراف
أ.د. حسن أحمد البنداري
أستاذ البلاغة والنقد الأدبي بكلية البنات جامعة عين شمس

تمهيد:-

يعدُّ الشعر ذا أهمية عظيمة في حياة الأمم ، إذ يصور أوضاعها السياسية والاجتماعية والفكرية ؛ لذلك اتجهت إليه أقلام الأدباء والنقاد لدراسته وتحليله ، فنتجت عنه آراء متفاوتة ، ومنها ما هو ذو قيمة عظيمة يقتضي الإشادة به ، ومنها ما يحتاج إلى مناقشة وإعادة نظر.

يُعنى هذا البحث بدراسة الصورة الرمزية عند الشاعر عبد الحميد بطاوي الذي ولد في مدينة درنة بدولة ليبيا في منتصف الشهر الرابع من عام ١٩٤٢م، وهو شاعر اهتم بقضايا وطنه وأمه ، وسعى إلى نشر أفكاره المنادية بالحرية والانطلاق ، موظفاً وسائل بلاغية فنية لجذب انتباه المتلقي، والتأثير فيه ، وقد استخدم الرمز في أغلب شعره السياسي الثوري حتى يعبر عن تجارب عاشها مجتمعه خلال الحكم الاستبدادي في ليبيا.

١- مصطلح الرمز

من أهم دلالات الرمز في النقد الحديث نجد:

- أ- إن كلمة رمز مشتقة من الفعل اليوناني الذي يعني " الجمع في حركة واحدة بين الإشارة والشئ المشار إليه " (١).
- ب- الرمز تكثيف لبعض الصور التمثيلية أو التخيلية التي تهئى الرؤى، سواء كانت دينية، أو أسطورية أو شعرية.
- ج- ارتبط الرمز أحياناً ببعض الجوانب البيانية المتعددة كالاستعارة والمجاز، غير أن المجاز يخضع للقرائن والصور الذهنية والأفكار، في حين أن الرمز مجسد لهذه الصور ومختزل لها.
- د- الرمز حشد لمعان متعددة ذات أبعاد ثقافية أو تاريخية أو أنثروبولوجية، مما يجعله يحتفظ بالتباسه وتعدد معانيه بحسب موقعه من النصوص.

إن هذه التعريفات للرمز تتنوع بحسب تنوع الخلفيات الفكرية التي تستند إليها هذه التعريفات، غير أننا سنركز على تعريف الشعرية المعاصرة للرمز، فلنبدأ بالتصور الشعري الغربي للرمز.

٢- التصور الشعري الغربي للرمز:

تيلور الاتجاه الرمزي مع أعمال الرواد من أمثال "بودلير" و"فرلين" و"رامبو" و"مالارمة". ويمكن أن نعتبر " بودلير" تمهيداً مباشراً لهذا الاتجاه وركناً من أركانه.

إن الشعر عند " بودلير" هو بحث عن الجمال الفني، وانصهار في معاني الحلم والرؤيا. فالشعر " انطلاق نحو اللانهاية وضرب من التصوف، ولا يتم هذا الانطلاق في الشعر إلا بواسطة الإيحاء... كما أن غايته (يقصد بودلير) بالتركيب ساهمت بوضع شيء خفي مبهم يوجه الاستعارات والصور نحو الرمز! وأن هذه الصور تتعري شيئاً فشيئاً من ثقلها المادي، لتتجرد وتصبح رمزاً" (٢).

١- هزي بيير، الأدب الرمزي، ترجمة جزء زغيب، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨١م، ص ٧١.

٢- أنطوان غطاس كرم، الرمزية والأدب العربي الحديث، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان ١٩٤٩م، ص ٤٦.

أما عند " مالارمة " الذي يعتبره الكثير المؤسس الفعلي للاتجاه الرمزي - فإن الشعر عنده " تعبير محكم للمجهود العقلي الذي يهدف إلى الجمال المحض ؛ وهو جمال لا يتحقق في عالم الواقع، إذ ليس هذا الواقع إلا رمزاً لعالم حقيقي غير منظور" (٣).

من هنا فإن الاتجاه الرمزي حاول أن يوسع أفق الرؤيا، وأن يعمق الحساسية الشعرية المرهفة القادرة على التفاعل، لأن " كل ما في الكون رمز، وكل ما يقع في متناول الحواس رمز، يستمد قيمته من ملاحظة الفنان لما بين معطيات الحواس المختلفة من علاقات" (٤).

وبقدر ما تتسع الرموز وتتشعب، تتسع قدرة الشاعر على التقاطها وتكييفها مع السياق الفكري والعاطفي للنص، مما يسهم في تطوير أساليب التعبير لأن " الرمزية فن التعبير عن الأفكار والعواطف، ليس بوصفها مباشرة ولا بشرحها... ولكن بالتلميح إلى ما يمكن أن تكون عليه صورة الواقع المناسب لهذه الأفكار والعواطف، وذلك بإعادة خلقها في ذهن القارئ من خلال استخدام رموز غير مشروحة" (٥).

إن الاتجاه الرمزي شكل عودة قوية إلى النص الشعري باعتباره لغة إحياء وإبداع، كما رد الاعتبار للذات المبدعة في خلق الرموز ودفع اللغة الشعرية إلى حافة الحلم والنبوة إلا أن الحرية في الإبداع غالباً ما اكتنفها الغموض في المعنى.

٣- الرمز في التصور الشعري العربي المعاصر:

لم يعرف الشعر العربي القديم مفهوم الرمزية كاتجاه أدبي، وإنما عرف رمزية المجاز بألوانه البيانية المعروفة كالتشبيه والاستعارة والكناية.

إلا أنه في ظل التأثير بالمذاهب الأدبية الكبرى في الغرب، عرف الشعر العربي الحديث حضور بعض صور الاتجاه الرمزي كما عُرف في الغرب وإن بصور مختلفة، ويمكن اعتبار أعمال الشاعر سعيد عقل بداية لظهور هذا الاتجاه في ظل تأثير واضح بالرمزية الفرنسية، خصوصاً مع (فاليري) و(بروتون).

ومع تطور التجربة الشعرية المعاصرة، أصبح الاتجاه الرمزي أكثر نضجاً " فأدونيس" ينظر إلى الرمز في قدرته الإيحائية بقوله: " الرمز هو ما يتيح لنا أن نتأمل شيئاً آخر وراء النص، فالرمز قبل كل شيء معنى خفي وإيحائي" (٦).

فالرمز يقف على حافة اللقاء بين الذات الشاعرة ومواجهة الحقيقة الباطنية للعالم والأشياء، من هنا فهو رؤيا وكشف وقفزة خارج المألوف والمتعارف. يقول " إيليا الحاوي": " الرمز ليس أداة تقرير ومقابلة وانتخاب، فهو لا يقابل واقعاً بواقع آخر ولا يفترض عليه ولا يستعير منه ولا يكتفي عليه، بل إنه ينفذ في ضميره وفي نواياه، فيطلع من قلب المادة الصماء أرواح الحقائق الكامنة فيها... في الرمز شيء من أحوال المشاهدة التي يَنموت المتصوفة في سبيلها" (٧).

١- الرمز في الشعر الليبي المعاصر:

٢- محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، ط٢، مصر، ١٩٧٨م، ص ٨٠.

٤- المرجع السابق، ص ١١٢.

٥- تشارك تشادويك، الرمزية، ترجمة إبراهيم يوسف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٢م، ص ٤١.

٦- علي أحمد سعيد (أدونيس)، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط٣، ١٩٧٣، ص ١٦٠.

٧- إيليا الحاوي، الرمزية والسريالية في الشعر الغربي والعربي، دار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ص ١٤٢.

لا يمكن أن يخرج مفهوم الاتجاه الرمزي في الشعر الليبي المعاصر عن التأثر بالتجربة الشعرية الرمزية كما تبلورت في الغرب، وامتداداتها في الشعر العربي المعاصر.

فقد عانق الشعر الليبي المعاصر الرمز كمنبع للإيحاء والإبداع، مكنتها قدراته التعبيرية، مستخدماً الرموز والإشارات التاريخية والدينية والتراثية والأسطورية بما تحمله من قيم عاطفية ودلالية وهذا ما ظهر واضحاً في شعر عبدالحميد بطاو الرمزي، إذ أكثر الشاعر من استخدام الرمز في شعره؛ نتيجة الأوضاع السياسية الصعبة في ليبيا وخنق الحريات، الأمر الذي جعل الشاعر يلجأ كثيراً إلى الرمز والإيحاء لإخفاء أفكاره وآماله في المستقبل، فأكثر من استخدام الرموز والإشارات التاريخية والدينية والأسطورية وغيرها للتلميح عن رغباته الحقيقية؛ وخوفاً من الإفصاح عنها والتحدث عنها صراحة.

وهكذا سنقوم بتحليل حضور كل هذه الرموز في شعره وتقسيمها إلى مباحث:-

المبحث الأول : الرموز الدينية:

إن الرموز الدينية تنبع أهميتها من قدسية مصادرهما، ومن تداول معانيها بين الجمهور، حيث يكفي أن يلمح إليها الشاعر كي توظف في وجدان متلقيها هالة من الذكريات والمعاني المرتبطة بسياقاتها، كما أن هذه الرموز الدينية تنسم بغنى الدلالة وتنوعها، مما يكسب النص الشعري قوة التأثير والإيحاء^(٨)، ولقد أتيت لشعرنا المعاصرين أن تقع أعينهم على رموز دينية ثرية خصبة كانت في أغلب الأحيان أقنعة نفسية تتفق مع رغبات الشعراء لتجاوز الواقع العربي الأليم سلوكاً وفكراً وفناً وتشوفاً إلى عالم أكثر رحابة، وصفاء، واطمئناناً^(٩)، وهذا ما ظهر واضحاً في شعر الشاعر.

فمن الرموز الشعرية الموظفة عند الشاعر نجد:

١- النبي موسى :

يوظف الشاعر عصا سيدنا موسى (عليه السلام) فهي مصدر غني بما تحويه من دلالات وإيحاءات إلا أنه هنا يتحدث عن فقدانها وعدم وجودها، ووجود السحرة في كل مكان وقيام الأمر بغير أهلها يقول^(١٠):-

حينما يختفي الحق

في صخب الظلم

والعدل يبدو بدون بصيرة

حينما يفلح الساحرون الحواة

بصنع ثعابينهم

ثم ليس لديك عصا

لا ولست نبيّ

حينما يركب الخيل

^٨- د. قرييرة زرقون، الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، المجلد ١، سنة ٢٠٠٤م، ص ٤٦٦.

^٩- المصدر السابق، ص ١٥٩.

^{١٠}- عبد الحميد بطاو، ديوان تراكم الأمور الصعبة، المنشأة العامة للتوزيع والإعلان، طرابلس، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٦م، ص ٨١.

من لا يجيد الرّكوب
ويخطب في النّاس كل دعوى
حينما يصفع المرء
ثم يبائع بالرّغم منه
الذي صفعته يداه
حينما يتحوّل مسخ اله

فالشاعر هنا يشير بحسرة إلى سيطرة الظلم وتسلط الطغاة على حياة الشعوب وقمعها ، دون أن يكون للشعوب العربية ما تدافع به عن نفسها ، فهي لا تملك معجزات كما الأنبياء ، لتدفع الظلم عنها وتنتصر لنفسها ، فرمز الشاعر بغياب عصا سيدنا موسى إلى غياب الإرادة القوية عند الشعوب العربية لقهر الظلم والانتصار عليه.

٢- النبي يوسف:

يعتبر يوسف النبي رمزاً للجمال، ورمزاً لكمال العقل وقوة الحدس، فقد ارتبطت شهرته بقدرته على تفسير الأحلام^(١)، وكذلك مقاومة الإغراء، إغراء زليخة، وإغراء السلطة والمال يقول الشاعر في قصيدة حوار في قصر العزيز

قال لي :

حينما راودتني زليخة عن نفسها

كنت في الجبّ

والآن تُغوى بدار العزيز

كيف لا تتقى هذه الهاوية...؟

آه يا سيدي... إنها فتنة طاغية

وأنا بعدُ في لحظة الانبهار

كيف لي أن أردّ التي غلّقت كل أبوابها

قال لي :

سوف يحدث بعد ارتعاشتك الشبّقيّة

كل الذي كنت تخشاه

سوف تكون نديم الملوك

وتلبس وجهين

لونين

قرنين

يجهضُ حلمك

ثم تحسّنُ بأنك أفلست من كل شيء

كيف لا تتقى هذه الهاوية...؟

بدأت القصيدة بحوار رمزي بين أنا الشاعر والأنا الأخرى التي يخاطبها (ياسيدي) فقد جمع العقيد القذافي سنة ١٩٨٤م مجموعة من الشعراء عنده وكان من بينهم شاعرنا، وبعد أن التقى بهم وحادثهم، وفي نفس الليلة بعد اللقاء كتب شاعرنا هذه القصيدة فزليخة هنا ترمز إلى إغواءات القذافي ونظامه، وكيف أن الشعراء الذين يخدمون القذافي ونظامه، سوف تنفتح أمامهم جميع

^١ - د. قريرة زرقون ، الحركة الشعرية في ليبيا ، ص ١٦٣ .

الأبواب، فالشاعر قد وقع في صراع بين إغراءات النظام أو التمسك بمبادئه، التي إن خسرها خسر نفسه " كل من وصلوها تولوا مسوحاً وما عاد فيهم فحولة".
فكانت النتيجة هي إصرار الشاعر على المقاومة حتى قيام دوله الحق والعدل ورمز لهذه الثورة التي تقيم الدولة بالحياة الماردة.
فالشاعر هنا يشير إلى مقاومة إغراء السلطة من خلال رمزه لسيدنا يوسف وهذه المحاوره الخيالية بينه وبين سيدنا يوسف الذي ينبهه إلى ضرورة التمسك بالمبادئ والبعد عن إغراءات السلطة والمال، وكيف أنها تؤدي بالإنسان إلى الإفلاس الروحي والنفسي.

٣- النبي سليمان:

وهو النبي الذي أعطاه الله ملكاً لم يعطه لأحد آخر وسخر له الإنس والجان.
يقول الشاعر في قصيدة (عرش الموت)^(١٢).

مات على الكرسي

كما قد مات فوق عرشه

سليمان النبي

وكان صاحبي

لا يملك القصور والتمائيل

ولم يكن له أعوان

من مرده أو جان

لم يكن له حول ولا سلطان

يرد عنه هول ما يأتي به الزمان

كان صديقي مبدعاً فنان

مات على الكرسي

وهو يستعيد ذكريات البؤس

في زمانه المدان

فاجأه الموت الذي يجيء

من خلال الحس بالغين وبالهبوان

فمات جالساً

كما يموت فوق صهوة الجواد

هذه القصيدة قالها الشاعر في رثاء صديقه الذي تعرض لنفس ما تعرض له الشاعر من ظلم وغبن من تحكم السلطة القائمة في ليبيا آنذاك، حيث وجدته زوجته ذات صباح حزين ميتاً على كرسيه. أن التشابه في وضعية الموت والنهائية بين سليمان النبي وصديق الشاعر أوحى إلى الشاعر استدعاء الشخصية الدينية، وهو سيدنا سليمان فمن خلال المقارنة بين الشخصين كان يرمز إلى تساوي البشر في النهاية فتحدث عن سليمان الذي أعطاه الله ملكاً لم يعط لآخر غيره

^{١٢} - عبد الحميد بطاوي، ديوان أشجان هذا الزمان، دار النشر مجلس الثقافة العامة، طرابلس، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٠م، ص ١٠٥.

وأخضع له الإنس والجان وبالرغم من ذلك فقد مات ميتة صديقه الذي لا يملك شيئاً ومات مقهوراً من الظلم والغبن دون أن يتنازل عن مبادئه.

٤- السيد المسيح:

السيد المسيح رمز ديني له إشعاع خاص باعتباره يحمل دلالات متعددة، فهو رمز للمعاناة والألم الجسدي، وللتضحية والفداء ، لذلك فقد وجد الشاعر في معاناته ما يتجاوب مع رؤيته ويعبر عنه، واستدعاء شخصية المسيح استغلال لما تمثله من قدرات إيحائية قوية تجاه ما ارتبط بها من دلالات في وجدان المتلقي ووعيه بحيث يكون رمزاً للمعاناة والألم الجسدي والتضحية ورمزاً للحياة بعد الموت بما يحمله من معاني الانتصار الإنساني الذي ينتج من التضحية^(١٣).

يقول الشاعر : في قصيدة وذلك أضعف الإيمان^(١٤)

لا تقل لي : إن التواريخ زاخرة

بالذين إذا صُفَعوا

واجهوا صافعيهم بعفو صريح

لا تقل لي إنك أنت المسيح

فالزّمان الذي نحن فيه

زمان قبيح

والذي يرتضى الظلم

دون مقاومة

سيعيش ذليلاً مهاناً

فالشاعر يحرض على الثورة، ويرفض نهج رجال السلام الفلسطينيين على رأسهم صائب عريقات ونبيل شعث، فالمسيح هنا يرمز للسلام والعفو عن الآخر، فالشاعر يخبرهم أن سياسة الصفح والتسامح لا تنفع مع العدو الإسرائيلي الذي لا يفهم إلا منطق القوة فما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة.

٥- السيدة مريم:

تعتبر السيدة مريم العذراء، رمزاً للعفة والطهارة، والتسليم لأوامر الله عز وجل دون شك أو ريب، إلا أن الشاعر يرمز لقصيدة السيدة مريم في شعره للأمة العربية التي طال صمتها وطالت مرحلة مخاضها دون نتيجة تذكر، يقول في قصيدة مخاض^(١٥).

هُزِّي إِيكَ جَذَع النَّخْلَةَ الْفِرْعَاءِ

ما استطعت واصرخي

بصوتك المفجوع

في الجفاء والخواء

فلن تُفَجِّرَ الأرضَ الينابيع

^{١٣} - د. عوض الصالح ، الشعر الحديث في ليبيا ، دراسة في اتجاهاته وخصائصه ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، دت ، ٢٠٠٢م ، ص ٥٠٧ .

^{١٤} - ديوان تراكم الأمور الصعبة ، ص ٦٢ .

^{١٥} - ديوان أشجان هذا الزمان ، ص ١٢٣ .

ولن تنزل السماء ماءً
وسوف تنجيبين في الخلاء
بعد المخاض التوجع المرير
خلقة شوهاء
وليس من عزاء
وليس من عزاء

فالشاعر استدعى من التراث الديني شخصية مريم العذراء ورمز بها إلى بلاده التي توقع أن تقوم بالثورة يوماً ما وقد دلت الأبيات الأولى من القصيدة على فعل الثورة التي توقع فشلها في تحقيق طموحاتها وأن ينتج عنها وضع فوضوي أسوأ من الوضع السابق ودل على ذلك بقوله (خلقه شوهاء) فالشاعر من خلال استقراء لوضع المجتمع وأفكار الناس وثقافتهم توقع من خلال ما يمتلكون من جهل وتأخر أن تكون نتاج ثورتهم يؤدي إلى الفوضى. وهنا تظهر براعته الشاعر الذي تنبأ بالثورات العربية، وكيف انخرقت عن مسارها في بعض البلاد، لتصبح البلدان العربية تعمرها الغموض والاضطرابات، بفعل الأحداث الخارجية والداخلية التي تسعى لإفشال ثورات الربيع العربي وتحويلها إلى فوضى عارمة، وأن تكون نهاية ثورات الربيع العربي، خلقة مشوهة للحرية والتغيير والديمقراطية، بفعل التدخلات الخارجية.

٦- المهدي المنتظر:

المهدي المنتظر يعتبر إحالة إلى التراث الإسلامي الشيعي، فالمهدي هو الإمام الثاني عشر عند الشيعة، وستكون عودته في آخر الزمان ليملاً الأرض عدلاً بعد أن امتلأت جوراً، بهذا يصبح المهدي المنتظر رمزاً للخلاص من الشرور والآثام^(١٦). لكن النص الشعري عند الشاعر عبد الحميد بطاوي في تعامله مع الرمز الديني قد يقلب معناه الأصلي، وفقاً لما يخدم الرؤية العامة في النص، يقول الشاعر في قصيدة المهر ولجُم... الخوف^(١٧):

لا تنتظروا

فالمهدي لن يأتيكم هذا العام
وأبداً لن يأتي
مهديكم فيكم
يضمنه الوجد
إلى السيف المؤشك أن يصدأ في غمده
يقتله الشوق لمُهر
يربضُ فوق جبال الرّفْضُ

يدين الشاعر هنا الانتظار والاستسلام والخمول، فإذا كان المهدي يشكل رمزاً للانتظار المخلص، فإن طريق الخلاص سيطول، هكذا يتحول المهدي إلى رمز نضالي في المجتمع، ينتظر من يحضن شعلته، من يشد سيفه الذي أوشك أن يصدأ في غمده، ينتظر لحظة الالتحام مع رموز الرفض والتغيير.

^{١٦} - د. قريرة زرقون ، الحركة الشعرية في ليبيا ، ص ١٦٧ .

^{١٧} - ديوان أشجان هذا الزمان، ص ٧٠ .

فهنا يحول النص دلالة الرمز من الانتظار إلى الفعل، من المتخيل الآتي إلى الواقعي المماثل، من رمز خارج المجتمع إلى رمز منبثق من صلب المجتمع. فلا تغيير إلا من داخل المجتمع وبقوة مناضليه.

المبحث الثاني: الرموز التراثية.

إن مفهوم التراث مفهوم واسع، قد يستوعب معظم ما قسمناه في محاور منفصلة، فندخل الرموز التاريخية ضمنه بالشكل نفسه الذي ندخل الرموز الأسطورية ضمن التراث الإنساني العام. إلا أننا- ولضرورة منهجية - أردنا أن نجعل الرموز التراثية تحيل على التراث العربي، مركزين على بعض الرموز الكثيفة الدلالة.

إن أهمية الرموز التراثية تكمن في حمولاتها الإيحائية التي تصلح لكثير من أوجه التعبير عن الحاضر باستحضار الماضي، فيصبح الرمز ذا فاعلية نصية مزدوجة، ففي الوقت الذي يربط فيه النص بذاكرته الثقافية، فهو ينغرس في لحظته التاريخية فيغدو التراث " قوة كامنة تربط عمل الشاعر بأعمال أسلافه، باعتبار الإنسان قيمة ثقافية ونفسية وثيقة الصلة بصور الماضي ونماذجه العليا، فإن حقائق الواقع تفوقه فاعلية وتأثيراً باعتبار هذه الحقائق أول ما تصادفه حواس الإنسان. وإبراز العوامل التي يحتك بها احتكاكاً مباشراً"^(١٨).

وسنركز على تحليل هذه الرموز التي ظهرت في شعر الشاعر، ومن هذه الرموز التراثية عنده نجد:

١- السيف:

يعتبر السيف في التراث العربي رمزاً للبطولة وشيم الفروسية، فهو السلاح الذي خاض به العرب أعتى المعارك، ومهدوا به لأقصى الفتوحات، حتى صار رمزاً عربياً للقوة والمجد. وعندما نستحضر الرمز في شعر عبدالحميد بطاو نجده غالباً ما يتم لتعزيد هذه القيم أو للتأسف على ضياعها، فالسيف رمز لبقية زفرات المقاومة في زمن الاختناق والتخاذل، رمز لرفض الخضوع والاستلام، إنه الإيمان بأبسط الوسائل من أجل الفعل. يقول الشاعر في قصيدة " شطرنج عربي"^(١٩).

لا تنزعج

لا شيء يُوحى بالحياة
فكيف قلبك يختلج
لا سيف تملك لا جياذ
فما انتفاعك بالسرج
شئتُ خطاك عن الحراك
فكيف تجتاز الدرَج
ضاقت عليك
فما انتفضت
جلست تحلم بالفرج

^{١٨} - محمد فتوح أحمد ، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص ٣٢٥.

^{١٩} - عبد الحميد بطاو، ديوان مرثية مرانبة، دار الجماهير للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ٢٧.

فدلالة السيف الرمزية هنا للحديث عن الواقع العربي المتردي، والاستسلام للظلم والجور دون مقاومة، فالشاعر يتحدث هنا عن المواطن العربي الذي فقد فكرة المقاومة والرفض، وتماشى مع الواقع الأليم، دون رغبة في التغيير. أما في قصيدة (عينك ثورة)^(٢٠) فيبرز السيف كرمز للنضال والثورة وعدم الاستسلام للظلم والغبن يقول:

حبيبتى...

لو عشت رهن القيد ألف عام
ولو يطول بي هنا يا قمري المقام
لن أعمد الحسام
لن أنكس الأعلام
لأن طيفك الحبيب حينما أراه في المنام
يحيلني مليون نائر همام
يقاتلون يصمدون عند الموقف الترهيب
ويزحفون واثقين
نحو فجرنا القريب

فالشاعر هنا يتحدث عن الوطن ومعاناته، وما تعرض له أبناؤه من ظلم وجور وسجن وتعذيب، ورغم ذلك جذوة المقاومة في نفوسهم لا تزال مشتعلة، ولن يغمدوا السيوف حتى تحقيق النصر على الظلم، والانتصار للوطن السليب.

وقوله أيضاً في قصيدة (المهْر... ولجْم الخوف)^(٢١)

مهديكم فيكم

يُضنيه الوجدُ إلى السيف
الموشك أن يصدأ في غمده
يحرقه الشوق لمهرٍ
يربض فوق جبال الرّفْض
يشدُّ إليه لجامَ الخوف
آه... لو تُقطع لجُم الخوف
آه... لو يسُرج هذا المهْر
ويشهر سيفاً...!!

فالشاعر يدعو الشعوب لعدم انتظار المخلص، كي يساعدهم على التحرر، فالثورة لا بد أن تنبع من الشعوب ولا بد لها من التخلص من قيود الخوف، فهذه القصيدة نداء لأبناء الشعب العربي لكي يقوموا بدورهم في الثورات العربية وتقطيع لجم الخوف، وبالفعل قد تحقق ذلك في الربيع العربي.

٢- الحلاج:

^{٢٠}- ديوان تراكم الأمور الصعبة، ص ١١.

^{٢١}- ديوان أشجان هذا الزمان، ص ٧٠.

يعتبر الحلاج رمزاً للإنسان المعارض فهو صوفي اتهم بالزندقة والقول بالحلول، فحكم عليه وسجن ثماني سنوات في بغداد ثم عذب وصلب، وبهذا صار الحلاج رمزاً للمتهم البريء، وللمناضل الحر الذي لا يثنيه القمع عن الجهر بأفكاره:
ولهذا كان الحلاج بمواقفه الثورية مقرباً من الشاعر عبدالحميد بطاو حيث يقول في قصيدة مدخل نحو الآتي: (٢٢).

يُهاجِرُ الحَلَّاجُ في خَواطِرِي
كَنِغْمَةٍ مِنَ النِّشَاؤِ
في مَعزُوفَةِ الأَرَقِ
يَدَاهُمُ الحَجَّاجُ فِكْرَتِي
فَلا أَخَافُ غَيرَ أَنِّي يَشُلُّنِي القَلْبُ
أَكْتُبُ ما أَكْتُبُهُ في لِحْظَاتِ الصَّحْوِ
ثُمَّ فِجَاءَةً أَهْمُ أَن أَمزُقَ الوَرِقَ
عَفْوَاً لَعَلَّنِي نَزِقُ..

إن استحضار الحلاج كرمز تراثي صوفي يؤكد الحقيقة المتمردة لكل من الشاعر والمتصوف على واقعهما، فالمتصوف إذ يعزف عن الواقع اليومي، فهو كالشاعر الضجر من واقعه.

وإذ يمثل الحلاج في النص أعلاه كمتنرد على واقع عصره، يستطيع أن يعلن تمرده على الملأ، وأن يعبر عن أفكاره بجرأة تقوده إلى التعرض للبطش والتكيل والصلب، ومن حضور رمز الحجاج في النص، وتبقى الذات الشاعرة متأرجحة في طموحها بين رغبة معانقة رمز الحلاج الثائر، والخضوع لسيف الحجاج المتربص.

٣- الجواد.

كما كان السيف في التراث العربي رمزاً للبطولة، وشيم الفروسية كذلك كان الجواد العربي، الذي يعتبر رمزاً للقوة والمجد والذي استعان به العرب في فتوحاتهم وغزواتهم ضد أعدائهم، بل كان له مكانة رفيعة ومميزة في قلوبهم فهو يمثل لهم الشرف والعزة والكرامة، ولهذا فقد أكثر الشاعر من هذا الرمز (الجواد) ليدلل على فقد الناس لمعاني العزة والشرف والكرامة التي كان يمثلها الجواد، يقول في قصيدة (انتكاسة الوجد) (٢٣).

كَلَّ هَذَا النِّكَدِ
كان يكفي لقتل الخيول
التي تجلس الآن في الظل
تعلك من غيظها لجُم الصمّت
وهي تمدّ بأعناقها
في محاولة للوقوف عقيمة

٢٢- عبد الحميد بطاو ، ديوان عندما صمت المغني، الدار العربية للكتاب، ط١، ١٩٩٧م، ص٥.

٢٣- ديوان عندما صمت المغني، ص٣٢.

فالشاعر يرمز بالخيول لروح المقاومة العربية وروح الثورة التي فقدت أو تمارس عليها
أعظم الضغوط لمنعها من التحرك وأحداث التغيير المرجو للشعوب العربية.
وقد يرمز الشاعر (بالخيول البربرية) لأدوات القمع التي تستخدمها الأنظمة لقمع المعارضين
و الناشطين وسياسة تكميم الأفواه، وإلقاء من يخالفهم الرأي في السجون يقول في قصيدة
تقاسيم^(٢٤)

بالله يا ولدى الفتى

أصمد وإن داستك

غارات الخيول البربرية

وأصرخ بكل قواك في ليل السجون

فالكادحون

فوق الجبال سينهضون ويهتفون

يا أيها الشمس المخبأة الكسولة

إننا سنصنع فجر ك المأمول

بالدم والطولة

لكن رغم هذه الصعاب والمآسي فلا بد لصرخة الحق أن يكون لها صدى عند الناس، ولا بد
للشعوب أن تنهض وتنتصر لنفسها و أن تأخذ حقها بيدها.

المبحث الثالث: الرموز التاريخية.

ليس التاريخ تسلسلاً للأحداث الماضية فقط، ولا جرماً للوقائع وتعاقب الدول والأشخاص، بل
هو أيضاً منبع للموعظة واستخلاص الدروس من وقائعه، ليتدبر الإنسان تلك الأحداث فينظر
إليها نظرة فاحصة يستفيد من إيجابياتها ويتخذ العبرة من سلبياتها^(٢٥).

إن حضور بعض الرموز التاريخية داخل النص الشعري عند الشاعر عبدالحميد بطاوي، لا
يعني أي حال من الأحوال تضمين هذه النصوص لتلك الأحداث التاريخية على شكل تزيين فضاء
النص الشعري بأسماء تاريخية باردة الدلالة، بل لابد أن تكتسب تلك الرموز التاريخية شرعيتها
داخل النص الشعري، بقدر ما تمنحه من تفعيل للبعد الدلالي والرمزي لتلك النصوص.

إن التوظيف الجيد للرموز التاريخية يجب ألا يتم بفرض هذه الرموز على النص، بل يجب
أن تكون هناك علاقة عضوية بينها وبين القصيدة، بشكل يجعل القارئ يحس بأن الحاجة إلى ذلك
الرمز التاريخي نابعة من داخل الموقف الشعري ذاته^(٢٦).

وسنلاحظ من خلال تحليل بعض النماذج، كيف وفق الشاعر في توظيف بعض الرموز
التاريخية.

^{٢٤} - ديوان عندما صمت المغني، ص ٨٥.

^{٢٥} - د. قريرة زرقون، الحركة الشعرية في ليبيا، ص ١٩٠.

^{٢٦} - على عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د)،
ط ١٩٩٧م، ص ١٢٠.

ومن أهم هذه الرموز التاريخية عند الشاعر نجد:

١- معركة صفين:

تعتبر معركة صفين حاسمة في التاريخ العربي، بما تحمله من بذور الخلاف بين المسلمين، وبداية الصراع بين الأخوة، وتشذبت الأمة العربية، وعدم توحيدها مرة أخرى، وهذا ما أشار إليه الشاعر عبدالحميد في قصيدة: بكائية جالبة المطر^(٢٧).

ما زال رغم مرور آلاف السنين
ورغم كل مساحة الزمن الذي ولّى
ظلال للقيصرة الطغاة
ما زالت الخوذ... البنادق
والمشائق والجنود
يتحسسون سيوفهم
متحفزين إلى القتال
وفجأة تبدو (المصاحف)

هكذا أصبح أحداث الزمن الماضي تفسيراً لبعض أحداث الحاضر، فتصبح رفع المصاحف دلالة على المظهر الخادع الذي يرفعه الشخص ظاهراً وهو يبطن غيره، إن المجتمع العربي قد وقع ضحية الصراع بين قوتين، القوميين العسكريين، والمتطرفين الإسلاميين، فالصراع بين هاتين القوتين، والضحية هي الشعوب العربية المدنية وكل أحلامها التي ضاعت بأوطان قوية مستقلة متحررة من كل الضغوط والقوى الخارجية.

٢- معركة كربلاء:

تعتبر هذه المعركة استمراراً لدلالة النص السابق، فالقتل يولد قتلاً، والثأر يولد ثأراً. فاستشهاد الحسين بن علي في معركة كربلاء خلف جرحاً لا يندمل في التاريخ العربي، فانقسم المسلمون على إثر هذه الحرب فرقاً وشيعاً يقاتل بعضها بعضاً، هكذا صارت معركة كربلاء رمزاً للتشنت والتفرق^(٢٨) فكربلاء ما زالت مستمرة في الصراعات العربية، فالحسين كل يوم يقتل في شخص كل مناضل حر شريف يرفض الخضوع والاستسلام للظلم والطغيان، يقول الشاعر في قصيدة أشجان في حضرة النه^(٢٩).

أحسُّ أننا الآن بكربلاء

في زمن مضى

أو ربما يجيء أو في هذه الأثناء

جُند الحُسين أو يزيد لاتهم هذه الأسماء

أرى السيوف والرماح قد غدت بنادق..

^{٢٧} - ديوان عندما صمت المغني، ص ٩٣.

^{٢٨} - د. قريرة زرقون، الحركة الشعرية في ليبيا، ص ١٧٥.

^{٢٩} - ديوان عندما صمت المغني، ص ٨٥.

يراهن الشاعر على الرمز التاريخي بما يوفره من فضاء للتداخل بين الماضي والحاضر، وبما يوفره - أيضاً - من دلالات امتداد الماضي في الحاضر، هكذا نجد "كربلاء" المرادفة للفتنة والقتل وتشنت الكلمة مستمرة في حاضر الأمة التي تفرقها الحدود والأسلاك الشائكة والإيديولوجيات والصراعات المفتعلة، ولا بد من فرق بين الماضي والحاضر سوى في أسماء الفاعلين والمفعولين، ولا فرق - أيضاً - في الوسائل فالسيف يقتل والبندقية تقتل. ويستمر هذا الرمز التاريخي بحمولاته الدلالية عند الشاعر لتفعيل مسار النص وتوليد معانيه التي تحمل عقب الماضي، وقد تدين الحاضر، وتتوجس من تكرار الأمر مستقبلاً، يقول أيضاً:

فلتفقاً العيون لم يزل رأس الحسين

يسقط كل يوم بيننا مَعْفَرِ الجبين

ولم نزل نهم أن نقول ما نريد

لكننا نبتلع الكلام

مرغمين خائفين من يزيد (٣٠)

فالأبيات ترمز لتخاذل الشعوب العربية، وخوفها من الحكام، وعدم قدرتها على مجابهة الطغاة والتصدي لهم.

ويقول أيضاً في قصيدة كوابيس كربلائية (٣١).

حدقت بقاع الكأس البتورية

فاجأني وجه "يزيد"

يساكب من عينيه الدمع

ومن كفيه الدم

النازف من رأس ابن علي

"يا سبط رسول الله

لماذا لم تمنحني البيعة

كي ترتاح

وتنقذني

من هذا الندم الموغل كالسرتان

يا سبط رسول الله

لماذا خضت غمار الرّفْض

وأعلنت العصيان

يا سبط رسول الله

ابتسمت رأسك فوق الرّمح

اشتعلت كل دروب الثورة

في كل مكان وزمان

يستمر النص في تعميق التفاعل فيصبح رمز (رأس الحسين) الساقط منتصباً عنواناً للاستشهاد والتضحية ورمزاً للثورة على الظلم في كل مكان، كما كان رمزاً للتضحية المبذولة كل يوم والتي قد تكلف أصحابها أنفسهم. وبالحضور نفسه ينتصب (يزيد) كرمز للاستبداد والقتل والقمع الساري في ثنايا المجتمع. برغم ما قد يكون أظهره من ندم على قتل سيدنا الحسين،

٣٠- ديوان عندما صمت المغني، ص ٨٦.

٣١- ديوان عندما صمت المغني، ص ١٤.

ولعل تداخل القمع والاستشهاد في النص أعلاه يؤكد حتمية التضحية على رغم كل القيود من أجل تحقيق غد أفضل.

المبحث الرابع: الرموز الأسطورية.

الأسطورة بمعناها الأعم حكاية خرافية مجهولة المؤلف، تتحدث عن الأصل والعلّة والقدرة وهي نتاج لسعي الإنسان الدائم لصوغ هواجسه وأفكاره وأحلامه وتصوراته في شكل نزوح جامح إلى الفهم والتفسير. يقول (كلود ليفي شتراوس): "... لكن الأسطورة لا نصيب لها من النجاح في إعطاء الإنسان قوة مادية أشد للسيطرة على البيئة. إنها مع ذلك تعطي الإنسان وهم القدرة على فهم الكون وأنه فعلاً يفهم الكون، وهذا بالغ الأهمية. لكنه مجرد وهم بالطبع"^(٣٢). وقد حاول الرومانيون إعطاء الأهمية للأسطورة باعتبارها نوعاً من الحقيقة الإنسانية التي تساعد على فهم العالم.

كما أن المناهج الحديثة تعمقت في دراسة الأسطورة، فمنهج التحليل النفسي يحتسب الأسطورة رموزاً لرغبات غريزية وانفعالات نفسية، بينما يرى المنهج الرمزي في الأسطورة قصة رمزية تعبر عن فلسفة كاملة لعصرها، لذلك يجب دراسة العصور نفسها لفك رموز الأسطورة^(٣٣).

فكان توظيف الأسطورة في الشعر الحديث نزوعاً إلى خلق أداة شعرية تفتح على التراث الإنساني باعتبارها منبعاً رمزياً لا ينضب " واستغلالاً للدلالة الرمزية في الأسطورة جنح بعض شعرائنا إلى استخدامها في بناء القصيدة المعاصرة. وأحياناً كانت الأسطورة بالنسبة لهم أداة فنية ضمن عديد من وسائل الأداء الشعري، وحيناً آخر كانت تتجاوز هذا الدور المتواضع إلى حيث تصبح منهجاً في إدراك الواقع ونسيجاً حياً يتخلل القصيدة..."^(٣٤).

وعلى رغم ما يخلقه توظيف الأسطورة من قوة دلالية في النصوص، فإنه قد يكون مصدراً للغموض إذا لم يحسن الشاعر صياغة الموقف الأسطوري وفق ما يقتضيه سياق النص، بعد ذلك يبقى مجهود المتلقي في تفعيل مسار القراءة والإيحاء وتعدد التأويل. هكذا " يزداد الغموض عمقاً وثراء باستخدام الأسطورة في الشعر الحديث، وبذلك يتحقق الاغتناء الأخصب للمتلقي وهو يضاعف مجهوده لالتقاط الأبعاد الإنسانية والحضارية والفكرية والواقعية، ويقوى حضورها ويرفع من قدرتها التعبيرية، إذ يوصل اشتراكاته النفسية والوجدانية والفكرية من أجل صنع الرؤية الشعرية"^(٣٥).

وسنركز في التحليل على أسطورة " سيزيف" لأنها كانت الأكثر حضوراً عند الشاعر عبد الحميد بطاوي، ولربما يرجع ذلك إلى ما تحمله هذه الأسطورة من معاني المعاناة. وهذه المعاني تتطابق مع الواقع النفسي الذي يحسه شاعرنا، وهو واقع يخيم فيه الشعور بالاضطهاد والغبن والمعاناة مع الكلمة.

١ - أسطورة سيزيف.

قد وظف المتن الشعري أسطورة " سيزيف" بما تحمل من المعاناة في أصلها، فسيزيف كان يدحرج الحجر إلى القمة ثم يهوى الحجر إلى السفح فيدحرجه ثانية إلى أعلى،

^{٣٢} - كلود ليفي شتراوس، الأسطورة والمعنى، ترجمة صبحي حديدي، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، ط ٢، ١٩٨٦م، ص ١٨.

^{٣٣} - د. سيد القمني، الأسطورة والتراث، نشر الصقر العربي للإبداع، قيرص، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص ٢٧.

^{٣٤} - محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ص ٢٨٩.

^{٣٥} - د. سيد القمني، الأسطورة والتراث، ص ٢٩.

فلا الحجر يستقر في القمة ولا هو يستريح، فغدت الأسطورة دلالة على المعاناة والألم المتكرر

يقول الشاعر في قصيدة "أنشودة السأم"^(٣٦).

"سيزيف" لم يزل يعيش بيننا

بل كلنا سيزيف

نحمل جثة الأمس البعيد

نحو قمة الغد المخيف

ندوي نموت في ربيع عمرنا

كالغصن في الخريف

لا حزن لا انشراح لا جراح لا ألم

لأننا قد شلنا السأم

يستحضر النص معاني السأم، ولا المبالاة التي أصبح عليها الناس نتيجة حياتهم الكئيبة ومعاناتهم اليومية من أجل لقمة العيش، دون أمل في المستقبل القادم؛ لأنه في نظر الشاعر لا يحمل أي جديد، سوى مزيد من المعاناة والألم، وهكذا يصبح الرمز الأسطوري موظفاً لتعميق السياق الدلالي للألم والمعاناة، مما يخلق جوًّا نفسيًّا منسجماً داخل النص. وهذا ما نلاحظه أيضاً في قصيدة "أغنية للوطن الجريح"^(٣٧) يقول:

وجهك يا وطني

أشرف من كل الأوسمة السلطانية

يا طهر القدم الحافي

فوق دروب الحريرة

يا جرحاً ينزف يا مأساة سيزيفية

لمدى عينيك الرائعتين نغني

نصمد نتألم

نتعلم كيف نواجه باسمك هذا الهم

فالشاعر يصر - رغم الألم- على متابعة المسار والدفع نحو المستقبل، ليستنشق نسمات الحرية، ويتطلع إلى الأفضل إن النص يقلب الرمز الأصلي من معنى التكرار الممل، إلى المعاودة الطموحة، فلا بد أن ينجح الشعب يوماً في تحقيق ما عجز عنه سيزيف. وهنا يتحول فعل سيزيف من اليأس المحبط إلى الأمل سيزيف هنا رمز الصمود، لكل الشعوب الساعية للحرية والتغيير.

نلاحظ مما تقدم أهمية توظيف الرمز الأسطوري في تفعيل دلالة النصوص الشعرية، فقد تمكن الشاعر من خلال نصوصه الشعرية وبتوظيفه للرمز من ربط الشعر بالأسطورة ربط تفاعل وتكامل وتوحد " فالرمز هو نموذج أصلي يعبر عن حقيقة إنسانية مطلعة عبرت عن ذاتها في الأساطير. فيغدو الشعر والأسطورة شيئاً واحداً.

٢- شمشون:

^{٣٦} - ديوان تراكم الأمور الصعبة، ص ٤٣.

^{٣٧} - ديوان تراكم الأمور الصعبة، ص ٣٣.

كما وظف الشاعر أسطورة " شمشون " الذي كان يتميز بالقوة الجسدية الهائلة والتي استغلها للقضاء على أعدائه، يقول في قصيدة (وذلك أضعف الإيمان)^(٣٨).

كل هذا لديك
وها أنت تصمت حتى تئدان
كل ظلم تُميل له الظَّهر
حتى يُحطُّ عليك
فتحمّله بافتخار
كما يحمل التاج والصّولجان
وحدك الآن
من سوف يخسر هذا الرّهان
لست أطلب منك الكثير
وأن تتحوّل شمشون هذا الزمان
ليس أكثر
من أن ترد كرامة وجهك
من صافعيه
فتبصق في كل أوراقهم
وتغادر هذا المكان

فالشاعر يتحدث هنا عن بيع القضية الفلسطينية، من قبل بعض المساومين الذي باعوا وطنهم، بأرخص الأثمان، وتنازلوا عن كرامتهم، ولم يتميزوا بالشجاعة لحماية وطنهم، ومن هنا يأتي رمز (شمشون الأسطوري) الذي يرمز للقوة الخارقة والشجاعة التي جعلته يهدم المعبد على كل من فيه دون أن يساوم أو يتنازل عن مبادئه.

المبحث الخامس: الرموز الطبيعية.

وهي الرموز المستوحاة من عناصر الطبيعة، وتتميز الرموز الطبيعية بكون قيمها الجمالية متبدلة ومتطورة بشكل مستمر، وهو ما يجعل تاريخ قراءتها متواصلاً ومتطوراً بشكل دائم. إن الرمز الطبيعي يتميز بالدينامية والحيوية التي تعطي للمبدع حرية التصرف الفني في هذا الرمز. وإذ نؤكد ذلك لا نغفل أن للأشياء أهميتها وتاريخها في الوعي الاجتماعي، ولا يمكن للمبدع أن يهملها أو يتغاضى عنها، غير أن تلك الأهمية متواصلة النمو والتبدل والتغير، تبعاً للتجربة الاجتماعية المتبدلة والمتطورة هي الأخرى^(٣٩).

إن هذه التعددية في أطوار الأشياء، وفي الحاجات النفسية والتعبيرية إليها، والمواقف الاجتماعية منها، تعكس تعددية هائلة في الذات الفنية التي هي الأخرى لها أطوارها المختلفة والمتعددة، ولهذا فلا غرو أن يكون الرمز الطبيعي ذا قيم جمالية متباينة ومتناقضة أحياناً في

^{٣٨} - ديوان مرثية مُرائية، ص ٦٣.

^{٣٩} - د. قريرة زرقون، الحركة الشعرية في ليبيا، ص ٢٠٠.

النصوص الشعرية^(٤٠). وينبغي التأكيد على أن التعددية في الرمز الطبيعي لا تعني الاعتيادية والفضوى، بحيث يفتقر الرمز إلى الإحالة الجمالية، كما أن اللعب المجاني باللغة لا ينتج رمزاً فنياً أو بنية شعرية رمزية. إن شرعية الرمز أو الترميز تتأتى أولاً من أصالة التمكن الجمالي للظاهرة التي هي موضوع الهاجس الشعري. وسنقف في إطار التحليل على بعض نماذج توظيف الشاعر لبعض الرموز الطبيعية، ومن هذه الرموز:-

١- الريح:

الريح من عناصر الطبيعة الفاعلة، التي تدل على الفعل والتغيير، فتنتقل الطبيعة من حال إلى حال. وتختلف صورة الريح باختلاف قوتها ونواتجها، فتنتقل من ريح هادئة إلى ريح عاصفة أو من ريح جالبة للأمطار والخير إلى ريح مدمرة.

وتختلف معاني الريح أيضاً بتنوع الحاجات الدلالية في النص، ومن هنا يتفاعل رمز الريح في توظيفه مع سياقه لتوليد المعنى وتفضيله. هكذا نجد الريح رمزاً للتغيير وثورة الشعب القادمة في شكل عاصفة تلخ جذوع الشجر الميت في قول الشاعر: ^(٤١)

فالرجل الميت

كان مع رعشات الموت

يدسُّ ببطنك طفلاً

سوف يكون غداً

ريحاً عاصفة

تلخ كل جذوع الشجر الميت

كل فروع العوسج

تأتي بالأمطار

هاهنا تتفاعل معاني النص عبر فضاءات التضاد بين الموت والحياة، فالرجل الميت يهب الحياة للطفل الذي سيولد، ويستعير الشاعر رمز الريح لهذا الطفل الذي سيخلع جذوع الأشجار الميتة ويأتي بالأمطار وهو هنا يتنبأ بالثورة الليبية القادمة ضد الفساد والتسلط والدكتاتورية، إن التفاعل الدلالي أعلاه ما بين عناصر السلب والإيجاب قد تقمص صورة جدلية الحياة والموت في سبيل تفعيل معنى النص الذي يحمل قيم الحياة التي تفتضي زوال العناصر الميتة والسلبية، ليتسع المجال للعناصر الحية والإيجابية؛ إنها ريح الثورة القادمة التي تحمل بذور التغيير. وقوله أيضاً في قصيدة (هذا أنا)^(٤٢).

^{٤٠} - هاني إسماعيل محمد، التوظيف الرمزي في الخطاب الشعري السياسي في النصف

الثاني من القرن العشرين عند شعراء الواقعية في مصر، رسالة دكتوراه، كلية البنات،

جامعة عين شمس سنة ٢٠٠٧م، ص ١٤٠.

^{٤١} - ديوان عندما صمت المغني، ص ٧٣.

^{٤٢} - ديوان أشجان هذا الزمان، ص ٧.

قال لي:

حينما يستبد بك الهم
حين يحاصرك الحسُّ بالغبن
كيف تراك تُفكر...؟
حين تأتي الرياحُ
بغير الذي تشتهي
وتَهزُّ العواصفُ كل الذي في يدك
تشدُّ عليه فلا يتبعثر

فالرياح هنا ترمز للظلم والطغيان الذي يدمر آمال الشعوب وأحلامها، ورغم ذلك فما زال القدرة على المقاومة وتحمل العنف والطغيان بصبر وثبات.

١- الليل:

يعتبر الليل من أهم الرموز الطبيعية في الشعر، وذلك لما يحمله من غنى دلالي يفتح آفاق النص على معان متعددة ومتنوعة، تظهر قدرة الشاعر الفنية في توظيف هذا الرمز. ومن صور توظيف رمز الليل نجد قول الشاعر في قصيدة (وإن غداً)^(٤٣).

حين اتكأ اللَّيْلُ
على خاصرة الشمس
وبثَّ العتمة في كل الأرجاء
ونعق بصوت همجيّ
قال : أنا موجود
ابتسم الصُّبح بثقةٍ
شدَّ إليه
بقايا خيوط الضوء المرتعش
وغادر وهو يقول
غداً سأعود

يرمز الشاعر بالليل لزمان القهر والفساد وسيطرت الظلم، على مناحي الحياة، إلا أن ذلك لن يدوم ولا بد للشمس أن تشرق من جديد بما تحمله من تقاؤل بالتغيير والحرية وانتصار الحق فالنهار يطلع من صلب الليل فتلتحم دلالة الإشراق بالتغيير، وما تحمله من معاني الحياة والحرية. وقوله أيضاً في قصيدة " تنجيم"^(٤٤).

شدَّ لحيته
حرك الرَّمْل
ألقي محاراته فوقه
ثم قال :
غداً تشرق الشمس في اللَّيْل

^{٤٣} - ديوان مرثية مُرائية، ص ١٣.

^{٤٤} - ديوان مرثية مُرائية، ص ٦٥.

حين يغيب القمرُ
فخرجنا
نحدّق في عتمة الليل
حتى عمينا
من الانتظار وطول السهرِ
ربّما من طباع
هذا المنجم صنّع الأكاذيب
لكن ترى
أي عذر لنا
نحن حين نُصدّق هذا الخبر

فالشاعر يرمز بالليل إلى استمرار زمن الظلم والعسف دونما أمل بشروق شمس الحرية والحق، واستسلام الناس لأقدارهم، والخضوع لمبدأ الظلم والقهر، على انتظار المستقبل البعيد الذي لا يأتي بما يسر خواطرهم، وهو هنا يرمز أيضاً ليأس الناس وإحباطهم من تكالب الظلم واستمراره دون أمل في انفراج الأوضاع القاسية التي يعيشها الناس. وأيضاً في قصيدة "لحظة سأم" (٤٥).

سأم كالعنكب
تلتفّ خيوطه
حول شراييني المصلوبة
وحياتي مللّ يدفع للغثيان
تتزاحم عبر قتامة هذا الليل
وجوه مقلوبة
تنضح بالزور وبالبهتان
والليل
الليل... الليل... الليل
شلل يمتدّ على الأزمان
شلل يقات بأعصابي
يتمعن يوغل كالسرطان

فيستمر الشاعر في اعتبار الليل رمزاً لاستمرار الظلم وامتداده، وسيطرته وجبروته، دونما أمل في التخلص منه، مما أدى إلى سيطرة اليأس على كيان الشاعر، فقد كان مسجوناً في سجون النظام، يحيط به ظلام دامس، فشعر بعنات ظلام السجن، وما يمثله له من استمرار الظلم والقهر دون بصيص أمل في شروق قريب.

أما قصيدة "يا ليل" (٤٦) فيبدو الشاعر متفانلاً بانتصار الحق وزوال الظلم والطغاة وأن لا بد لليل أن ينجلي مما طال، رغم كل القيود وجبروت الطغاة يقول:

يا ليل
سيجيء صبح

^{٤٥} - ديوان أشجان هذا الزمان، ص ٤٠.

^{٤٦} - ديوان أشجان هذا الزمان، ص ٩٥.

رغم عمتك المريية
وستشرق الشمس الحبيية
تتنفس الأعشاب
في الضوء الدفيء
وتستفر بصحوها
الأرض الخصيبة
ويعود للصوت الصدى

فالشاعر يرى هنا أن الظلم والاستبداد المتمثل في رمز (الليل) لا بد أن ينجلي، وستشرق الشمس المتمثلة في الحرية والرغبة في التغيير، وسيتنفس الناس الصعداء وتزهو الحياة بعد جذب طويل.

الخاتمة

عني هذا البحث بدراسة الرمز في الشعر السياسي عند الشاعر الليبي عبدالحميد بطاوي، وبيان الصور الرمزية التي استخدمها لجذب انتباه المتلقي والتأثير فيه، وبالوقوف على شعره الرمزي في أعماله الشعرية الكاملة نجده قد اهتم بقضايا كثيرة من أهمها الرمز.

وقد انتهى البحث إلى أن نصوصه الرمزية حفلت بالوسائل البلاغية التي أسهمت في إثراء النص ، وأثبتت تمكن الشاعر من أدواته الفنية وقدرته على جذب المتلقي والتأثير فيه.

كما كشفت الدراسة على اهتمام الشاعر بقضايا وطنه وأمته وكشفه للمناققين والمتحولين عن مبادئهم تحت إغراء المال، كما وكشفت الدراسة عن مناداة الشاعر بالحرية ، وحرصه على الإسهام في كل ما يخدم هذه القضايا جميعها ، بشعره الباعث على التحرر انطلاقاً من الوعي التام بدور الأدب في نشر الوعي وتحفيز الهمم.

المراجع

- ١- أنطوان غطاس كرم ، الرمزية والأدب العربي الحديث ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت ، لبنان ١٩٤٩م.
- ٢- إيليا الحاوي ، الرمزية والسريالية في الشعر الغربي والعربي ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٣م.
- ٣- تشارك تشادويك، الرمزية، ترجمة إبراهيم يوسف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، ١٩٩٢م.
- ٤- د. سيد القمني ، الأسطورة والتراث ، نشر الصقر العربي للإبداع ، قبرص ، ط١ ، ١٩٩٢م.
- ٥- د. عوض الصالح ، الشعر الحديث في ليبيا ، دراسة في اتجاهاته وخصائصه ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، دت ، ٢٠٠٢م.
- ٦- د. قريرة زرقون ، الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، الطبعة الأولى ، المجلد ١ ، سنة ٢٠٠٤م.
- ٧- د. محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف ، ط٢ ، مصر ، ١٩٧٨م.
- ٨- عبد الحميد بطاوي، ديوان أشجان هذا الزمان ، دار النشر مجلس الثقافة العام ، طرابلس، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٠م.
- ٩- عبد الحميد بطاوي، ديوان تراكم الأمور الصعبة ، المنشأة العامة للتوزيع والإعلان ، طرابلس، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٦م
- ١٠- عبد الحميد بطاوي، ديوان مرثية مرثية ، دار الجماهير للنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ١١- عبد الحميد بطاوي ، ديوان عندما صمت المغني، الدار العربية للكتاب، ط١ ، ١٩٩٧م.
- ١٢- دعلي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (د، ط) ١٩٩٧م.
- ١٣- علي أحمد سعيد (أدونيس)، زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٧٣م.
- ١٤- كلود ليفي شتراوس ، الأسطورة والمعنى ، ترجمة صبحي حديدي، منشورات عيون المقالات ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٨٦م.
- ١٥- هاني إسماعيل محمد، التوظيف الرمزي في الخطاب الشعري السياسي في النصف الثاني من القرن العشرين عند شعراء الواقعية في مصر ، رسالة دكتوراه، كلية البنات ، جامعة عين شمس سنة ٢٠٠٧م .
- ١٦- هزي بيير ، الأدب الرمزي، ترجمة جزء زغيب، منشورات عويدات ، بيروت ، ١٩٨١م

